دِلالاتُ الألفاظِ والتَّراكيبِ في سورةِ الفاتحةِ
دِراسةٌ بيانِيّةٌ تحليليّةٌ

بقلم الدكتور

محمد وسيم خان

أستاذ مساعد بكلية الآداب والفنون
في جامعة حائل بالمملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الأول (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دِلالاتُ الألفاظِ والتَّراكيبِ في سورةِ الفاتحةِ دِراسةٌ بيانِيّةٌ تحليليَّةٌ

محمد وسيم خان

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والفنون ـ جامعة حائل ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : waseemalmohammadi@gmail.com

الملخص

يتلخص هذا البحث في النقاط التالية:

•اشتمل هذا البحث على مقدمة أشاد فيها الباحث بأهمية الموضوع، وبين أسباب اختياره، وذكر الدراسات السابقة المتصلة بالموضوع، وهدف البحث، وخطته، والمنهج المتبع فيه.

•ثم قسم الباحث بحثه إلى مبحثين: أولهما لدراسة الألفاظ، وثانيهما لدراسة التراكيب في السورة.

•وقد ركز الباحث كثيرا على الدِّلالات اللغوية والبيانية، وما احتوت عليه الحروف والكلمات المفردة في ذاتها من معان عميقة دقيقة، وإشارات لطيفة عجيبة، وعني ببيان الألفاظ، وشرح التراكيب، وما اشتملت عليه من مفاهيم ودلالاتٍ.

وقد مضى الباحث ملتزما في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، محاولا من خلاله الوصول إلى الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، وهو إبراز الجوانب البلاغية والكشف عن الوجوه البيانية في سورة الفاتحة من خلال دلالات الألفاظ والتراكيب، جامعا بين الدراسة اللغوية الدلالية والدراسة البيانية البلاغية، ملتزما بهما؛ لما فيهما من ربط مباشر وثيق غير قابل للانفصال للكشف عن جماليات القرآن ودقائقه اللغوية، وعجائبه البيانية،

ولطائفه البلاغية، معتمدا على أقوال المفسرين واللغويين والبيانيين.

•انتهى الباحث من خلال البحث والدراسة للموضوع إلى نتائج رصدها في خاتمة البحث.

•وفي نهاية البحث ذيَّل الباحث بحثه بفهرسين مهمين: قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات؛ ليسهل الاستفادة منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الكلمات المفتاحية : بلاغة ، دلالات ، ألفاظ ، تراكيب .

Indications of Words And Semantics in Sura Al-Faatiha Rhetorical and Analytical Study

Mohammad Waseem Khan
Departm of Arabic language , College of Arts, The University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia .
Email: waseemalmohammadi@gmail.com

Abstract

This research may be summarized with the following points:

•This research included an introduction in which the researcher described the importance of the topic, and explained the reasons for choosing it, and talked about previous studies on the subject, the aim of the research, and its plan, and the methodology followed.

•Then the researcher divided his research into two sections: the first is for the study of words, and the second is for the study of semantics in Sura.

• The researcher has focused a lot on the linguistic and rhetorical indications, and what the individual letters and words in themselves have contained from deep and accurate meanings, and nice and surprising signs, and focused on manifestation of words, and explanation of semantics, and what the concepts and indications it has included.

The researcher followed in his study the descriptive analytical method, through which he tried to reach the goal that he seeks to achieve, which is to highlight rhetorical aspects in Sura Al-Fatiha from the indications and semantics, combining semantic linguistic study and rhetorical study because of their direct and indivisible bond in revealing the aesthetics of Quran and its linguistic

niceties, and its miraculous rhetoric, relying on the statements of explicators and linguistics and rhetoric scholars.

•The researcher, through research and study of the subject, ended with the results which he mentioned at the conclusion of the research.

•At the end of the research, the researcher has attached his research with two important indexes: a list of sources and references, and an index of topics, so that benefiting could be ease.

And our last call is "Praise be to Allah, Lord of the worlds."

Keywords: BALAGHAH; DILALAAT; ALFAZ; TARAKEEB .

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه دراسة بيانية تحليلية للألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة، وهي تحاول كشف بعض ما فيها من أسرار البيان، وجمال الأسلوب، وبلاغة التعبير.

وقد ربطت فيها بين اللغة والبلاغة وبين الدلالة والبيان؛ حيث قمت بتحليل الحروف والكلمات، والمفردات والتراكيب، وكشف ما فيها من بلاغة وبيان؛ إذ تتجلى فصاحة القرآن وبلاغته وبيانه بداية من اختيار الحروف والكلمات، ثم الجمل والنظم والتأليف.

أهمية الموضوع: يكفي لأهمية هذا الموضوع أنه متعلق بالقرآن، بل بأمّ القرآن، يكشف عن بعض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من المعاني الجليلة، والمطالب العالية، وينقب عن بعض ما احتوت عليه من ألوان البلاغة والبيان، وتتلخص أهميته في النقاط التالية:

١. أن الموضوع متّصل بالقرآن الكريم اتصالا مباشرا يبحث فيه، ويكشف عن بعض جمالياته.

٢. أنه متعلق بسورة عظيمة من سور القرآن، وهي سورة الفاتحة التي هي فاتحة الكتاب وأمّ القرآن.

٣. أنه يبحث في جانب يتصل بإعجاز القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع: هذه الأسباب السابقة الكاشفة عن أهمية هذا الموضوع، ورغبتي في دراسة آيات القرآن دراسة تحليلية تنمي الذوق، وتساعدني على الوقوف عند دقائق القرآن اللغوية، وجماليات القرآن البيانية؛ دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع للدرس والبحث.

أهم الدراسات السابقة: توجد دراسات عديدة حول سورة الفاتحة، وهي تتناول الجوانب البلاغية، والملامح البيانية فيها من جوانب مختلفة، ومن أهمها:

١- أضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، للدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزَّهراني: لقد سلَّط الدكتور الصالح في هذا البحث النفيس الأضواء على الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة، وجملة ما تناول الباحث في هذا البحث من المظاهر البلاغية البارزة: حسن الافتتاح، والإيجاز، والالتفات، والقصر، والجمع، والتجانس، والاستعارة، والفواصل المؤثرة، والتأكيد، والإطناب.

٢- البلاغة في سورة الفاتحة – دراسة تحليلية بلاغية، للباحث محمد سبحان يحيى: هذا البحث أعدَّه الباحث محمد سبحان يحيي لاستكمال الشروط المقررة للحصول على درجة علمية (درجة سرجانا). وهو بحث مختصر يقع في خمسين (٥٠) صفحة. وقد تناول فيه الباحث -بعد ذكر عناصر البلاغة وأقسامها وعلومها- من المسائل البلاغية: الإنشاء والخبر، والتقييد، والفصل والوصل.

٣- تفسير سورة الفاتحة (تفسيرها- فضائلها- مقاصدها- موضوعاتها- فوائدها- بلاغة آياتها- مسائلها الفقهية)، إعدادُ القسم

العلمي بمؤسسة الدرر السنية: هذا التفسير الموجز يتناول سورة الفاتحة من نواح عدة كما هو ظاهر من اسمه، ومنها بلاغة آياتها التي تناولها في سبع (٧) صفحات فقط بإيجاز شديد.

وقد تناول فيها: حسن الافتتاح، واسمية الجملة، والتخصيص بالإضافة، والتقديم والتأخير، والالتفات، والتكرار، والجمع، وفعل الأمر، والتعدية، والتصريح بعد الإبهام، والتوكيد، وتناسب الفواصل.

٤- مظاهر البلاغة في سورة الفاتحة من خلال كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، للباحثة هاجر الفتوح: وهو بحث موجز أشبه بمقال يقع أصله في ست (٦) صفحات فقط. وقد تناولت فيه الباحثة بعض المظاهر البلاغية في سورة الفاتحة من خلال نظم الدرر للبقاعي على طريق التفسير البياني، فذكرت أولا دلالات التسمية للسورة في صفحتين، ثم تناولت أوجه الإعجاز البلاغي في السورة في أربع (٤) صفحات، معتمدة على البقاعي في نظم الدرر.

٥- الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة – دراسة تحليلية، للدكتور محمد وسيم خان: وقد تناول فيه الباحث من المظاهر البلاغة: تنوع القراءات، والالتفات، والجمع، والحذف، والتقديم والتأخير، والقصر، والتكرار، والاستعارة.

٦- من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة، للدكتور عادل أحمد صابر الرُّويني: هذا الكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة تتعلق بسورتي الفاتحة والبقرة، وهي بلاغية وغير بلاغية.

وكما هو ظاهر فإن هذه الدراسات تتناول المظاهر البلاغيـــة وأبـــرز الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، وما جاء فيها من دلالة وبيان فقد جاء عرضا، وفي شكل يسير جدا، بينما يركز بحثي هذا على دراســـة الأســـلوب للسورة، ودلالات ألفاظها وتراكيبها، وما فيها من بلاغة وبيان.

هدف البحـث: يهدف هذا البحث إلى إبراز الجوانب البلاغية والكشف عن الوجوه البيانية في سورة الفاتحة من خلال دلالات الألفاظ والتراكيب.

خطة البحـث: اشتملت خطة البحث على مقدمة، ومبحثين، والخاتمة، والفهرس.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضـــوع، وأســـباب اختيـــاره، وخطـــة البحث، ومنهجه، وكلمة الشكر.

المبحث الأول: دلالات الألفاظ في سورة الفاتحة، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: لفظ الجلالة (الله) ودلالاته البيانية.

المطلب الثـاني: صفتا (الرّحمن والرّحيم): دلالاتهما البيانية، والفائدة في اقترانهما.

المطلب الثالث: كلمة (الحمد)، وما فيها من دلالات، والفـــرق بينهـــا وبين الشكر.

المطلب الرابـع: دِلالات كلمتي (رب العالمين) البيانية، وما في كلمـــة (الرب) من الدقة والإيحاء.

المطلب الخامس: دلالات كلمة (مالك) و(الدين) البيانية في قوله تعالى: (مالك يوم الدين)، والدقة في إضافة الملك إلى اليوم، وما يحمل التعبير بـ (يوم الدين) من المعاني والإيحاءات.

المطلب السادس: دلالات (العبادة) و (الاستعانة) البيانية في قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، والحكمة من الاقتران بينهما.

المطلب السابع: دلالات (الهداية) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم).

المطلب الثامن: دلالات (الصراط) و(المستقيم) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم).

المطلب التاسع: دلالات (أنعمت) و (المغضوب) و (الضالين) البيانية في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

المبحث الثاني: دلالات التراكيب في سورة الفاتحة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالات تركيب (الحمد لله) في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين).

المطلب الثاني: دلالات التراكيب في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

المطلب الثالث: ارتباط قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) بأول السورة، ووسطها، وآخرها، وما في ذلك من دلالات لطيفة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث والدراسة.

الفهرس: ويشمل قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث: اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، وقمت في أثناء تطبيقه بمراعاة ضوابط البحث العلمي من العزو، والتخريج، والتوثيق، ووضع علامات الترقيم في مكانها المناسب، وضبط ما يحتاج إلى ضبط إلى غير ذلك من الأمور التي ينبغي للباحث مراعاتها.

كلمة الشكر: أشكر الله عز وجل أولا وآخرا على ما وفقني للقيام بهذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز.

كما أقدم جزيل الشكر ووافر الامتنان لكل من له يد بيضاء كريمة في إخراج هذا العمل في هذه الصورة، فجزاهم الله أيضا خير ما يجازي به عباده الصالحين.

وفي الختام أدعو الله أن يرزقني الفهم والبصيرة، ويهديني إلى الصراط المستقيم، ويجعل القرآن ربيع قلبي، ويثبتني على تلاوته، والتأمل فيه، ويلهمني رشدي، ويوفقني لما يحبه ويرضاه.

كما أدعو الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ويرزقه القبول، ويوفِّقني في الدنيا والآخرة. إنّه ولي التوفيق.

المبحث الأول

دلالات الألفاظ في سورة الفاتحة

المطلب الأول: لفظ الجلالة (اللّه)، ودلالاتها البيانية:

لفظ الجلالة (اللّــــه)، اسم معروف لرب العالمين جلّ في علاه.

وقد اختلف علماء اللغة في اشتقاقه على أقوال كثيرة.

قال الفيروزآبادي: "واختلف فيه _يعني: لفظ الجلالة_ على عشــرين قولا"(١).

قال أبو الوفاء نصر الهوريني معلِّقا عليه: "قال شيخنا: بل على أكثــر من ثلاثين قولا، ذكرها المتكلمون على البسملة"(٢).

وأشهر الأقوال فيه ما يأتي(٣):

القول الأوّل: وهو قول أبي بكر ابن دريد صاحب "الاشتقاق"، قال: "فأمّا اشتقاق اسم الله عزوجل فقد أقدم قوم على تفسيره، ولا أحب أن أقول فيــه شيئا"(٤).

القول الثاني: إن أصله "إلــه"، ثم دخلت الألف واللــام عليــه فصــار "الإلــه"، ثم حذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام فصار "الله". فالألف واللام عوض عن الهمزة. وهذا رأي سيبويه(٥).

---

(١) القاموس المحيط مادة "أله" ص ١٢٥٠.
(٢) حاشية الهوريني على القاموس المحيط مادة "أله" ص ١٢٥٠.
(٣) تنظــر هــذه الأقــوال بالتفصيل في تفسيــر أسمــاء اللــــه الحســــنى ص ٢٥-٢٦، والمخصص ١٣٥/١٧-١٥١، وسفر السـعادة ٧/١-١٦، والجـــامع لأحكـام القـــرآن ١٥٧/١-١٥٩، والتحرير والتنوير ١٦٢/١-١٦٥.
(٤) الاشتقاق ص ١١.
(٥) ينظر: الكتاب ١٩٥/٢-١٩٦.

وقال غيره مؤيِّدا له: إنّ أصله "إلــه"، وهو مشتق من أَلِهَ الرّجلُ يألَهُ إليه: إذا فزِعَ إليه من شر نزل به، فألَهَه، أي: أجاره وآمنه(١)، فسمّي إلها.

وقال الآخر: إنّ أصله "إلــه"، وهو مشتق مــن "أَلِــــهَ يَأْلَــــهُ": إذا تحيَّر(٢)؛ لأن العقول تتحير عند التفكر في جلاله.

القول الثالث: إن أصله "لاهَ" على وزن فَعَلَ، مثل ضرب، ثم دخلت عليه الألف واللام تعظيما لله عزّ وجل وإبانة له عن كل مخلوق، فهو اســم وإن كان فيه معنى فِعْل.

وقرأ ابن عباس (ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)(٣)، أي: وعبادتَــك؛ لأنهــم كــانوا يعبدون فرعون.

القول الرابع: إن أصله "وِلاه"، فأبدلت الواو همزة، فصــارت "إلــــه"، وهو مشتق من الوَلَــه، بمعنى الحب والاشتياق الشديد(٤)؛ لأن قلوب العباد تَوْلَه إليه.

ونجد عند التأمل أن كل هذه المعاني والصفات موجودة فــي ذات الله تعالى: فهو معبود يعبده الخلق، ويفزعون إليه عند الشدائد والنوازل، وهــو محبوب لدى عباده الصالحين: يحبونه ويطيعون أمره، كما تتحير العقول عند التفكر في جلاله، وفي بديع صنعه، وعجيب خلقه، وعظيم قدرته.

---

(١) ينظر: القاموس المحيط مادة "أله" ص ١٢٥٠.

(٢) ينظر: القاموس المحيط مادة "أله" ص ١٢٥٠.

(٣) الأعراف: ١٢٧.

وينظر للقراءة: جامع البيان ٣٩/١٣، والمحتسب ٢٥٦/١، والبحر المحيط ٤٦٥/٤.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة "وله" ٣٩٩/١٥-٤٠٠.

القول الخامس: ذهب جماعة من أهل العربية والفقهاء _منهم الإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن، والإمام الشافعي رحمهم الله_ إلى أنه علم غير مشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام عنه، كما يجوز من الرّحمن والرّحيم، وإليه ذهب الخليل، والفيروزآبادي(١).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "زعم السُّهيلي(٢)، وشيخه أبو بكر ابن العربي أنّ اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق.

ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر، فهو باطل.

ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألَمّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإن هذه أسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه "الله"

ثم الجواب عن الجميع: أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله. وتسمية النُّحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولّد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمنّ الآخر وزيادة.

---

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص ٢٥، وسفر السعادة ١٥/١، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١، والقاموس المحيط مادة "أله" ص ١٢٥٠.

(٢) ينظر: نتائج الفكر ص ٥١.

وقول سيبويه: "إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء"(١)، هو بهذا الاعتبار، لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولا، ثم اشتقوا منها الأفعال، فإن التخاطب بالأفعال ضروري، كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما.

فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي، وإنما هو اشتقاق تلازم، سمّي المتضمِّن _ بالكسر _ مشتقا، والمتضمَّن _بالفتح_ مشتقا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى"(٢).

واصطفاء لفظ الجلالة (الله)، وهو الاسم الأعظم، الجامع لمعاني أسمائه كلها من الكمال والهيبة والجلال؛ أوفق بمفتتح القرآن ومفتتح السورة (أم القرآن)، فهو يتلاقى بما فيه من عظمة وتفخيم وترهيب يبعث على المهابة والخشية والالتزام، ويشعر بالقوة والغلبة والعزة مع مقام تقرير أحكام جديدة، وسنّ تشريع جديد، ومن ثَمّ فالبدء به هو الأليق ببلاغة النظم، والأنسب في افتتاح الحديث عن الدين.

فهو بمثابة الاستشهاد العام للوجود كله، بأنه الله الغالب المهيمن المتفرد سبحانه، وفيه ما فيه من الحث على الالتزام بما شرع. فكان التعبير بالألوهية التي تحمل كل معاني الجلال والتفرد والكبرياء؛ ليخافوه ويهابوه ويوقروه، ويخضعوا لعظمته، ويعبدوه دون سواه، ولا يشركوا به غيره؛ هو الأنسب والأولى.

و(الباء) في (بسم الله) بمعنى الاستعانة؛ لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بالبسملة(٣).

---

(١) الكتاب ١٢/١، وفيه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع".
(٢) بدائع الفوائد ٣٩/١-٤٠.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ص ١٠٥.

المطلب الثاني:

صفتا (الرحمن والرحيم)، ودلالاتهما البيانية، والفائدة في اقترانهما:

الرّحمـــن : فَعْلان من الرحمة. وصيغة فَعْلان تفيد الدلالة على الحدوث والتجدد، وذلك نحو: عَطشان وجَوعان، كما تفيد أيضا الامتلاء بالوصـــف، فيقولون: غضبان لمن امتلأ غضبا، وسكران لمن امتلأ سكرا(١).

والرحمن علم وصفة، وهي من الأعلام الخاصة بالله، فلا يجوز لأحـــد أن يسمي نفسه بالرحمن، فهو في هذا الباب كلفظ الجلالة، بخلاف الصـــفات الأخرى كالرحيم والكريم وغير ذلك، فإنه لا بأس بالتسمي بها، وشتان بـــين الموصوفين(٢).

والرحيم فعيل من الرحمة. وصيغة فعيل تدل على الثبوت في الصـــفة، نحو طويل وجميل، كما تفيد التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبـــوت، نحو خطيب وبليغ وكريم(٣).

فجاء بالوصفين للدلالة على أن هذه الصفة ثابتة فيه ومتجددة، وأفـــاد بالجمع بين الوصفين ما لم يفده عدمه.

فلو وصف نفسه بأنه رحمن فقط لوقع في النفس أن هذا الوصف غير ثابت، كالغضبان والعطشان، والواقع ليس كذلك؛ فإنه يغضب ولكنـــه رحـــيم بعباده، ورحمته وسعت كلَّ شيء، بل غضبه أيضا مقرون برحمته.

---

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية ص ٧٨-٨٢.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى ص ٢٨، وبدائع الفوائـــد ١/٤٠_٤٢، والقـــول المفيـــد ٢/٢٦٠.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية ص ٥٣-٥٤، و ص ٦٥-٦٧، و ص ٨٣-٨٨.

ولو وصف نفسه بالرحيم فقط لوقع في النفس أن هذا وصفه الثابت، والواقع أنه قد يأتي وقت لا يرحم فيه، كالكريم قد لا يكرم، والخطيب قد لا يخطب[١].

والله عز وجل متصف بصفة الرحمة الثابتة والمتجددة، وهذه الصفة هو موصوف بها كما يليق بجلاله.

وقال السهيلي: "وفائدة الجمع بين الصفتين الرّحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، وخاصة وعامة"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما الجمع بين الرّحمن والرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما السهيلي: وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم. فكان الأول للوصف، والثاني للفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: (وكان بالمؤمنين رحيما) [٣]، (إنه بهم رؤوف رحيم)[٤].

ولم يجئ قط "رحمن بهم"، فعلم أن "رحمن" هو الموصوف بالرحمة، و"رحيم" هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفّست عندها مرآةُ قلبك لم تَنجلِ لكَ صورتُها"[٥].

---

(١) ينظر: لمسات بيانية ص ٣٤.
(٢) نتائج الفكر ص ٥٣.
(٣) الأحزاب: ٤٣.
(٤) التوبة: ١١٧.
(٥) بدائع الفوائد ٤٢/١.

وقد ذكروا أن الرحمن عام للناس، والرحيم خاص بالمؤمنين، وتحصل في الدنيا كما تحصل في الآخرة(١).

قال العلامة الشنقيطي: "هما _أي: الرحمن والرحيم_ وصفان لله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرّحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرّحيم؛ لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء. وفي كلام ابن جرير الطبري ما يُفهَم منه حكاية الاتفاق على هذا"(٢).

وقال السمين الحلبي بعد ما ذكر الخلاف الواقع في أيهما أبلغ، الرّحمن أو الرّحيم؟ "والظاهر أن جهة المبالغة فيهما مختلفة، فمبالغة "فعلان" من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة "فعيل" من حيث التكرار والوقوع بمحالّ الرّحمة"(٣).

وفي وصفه بـ(الرحمن الرحيم) إنعام وامتنان على خلقه سبحانه؛ فهذا الوصف بـ(الرحمن) و(الرحيم) ناظر إلى تكميل شؤون العباد؛ حيث إن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، والسبب في النعم، بها يجلب لهم الإحسان والنفع على أتم الوجوه من إنزال ما ينزل من السماء من الملائكة والكتب والأرزاق، وأنواع الخيرات والبركات، وما يلج في الأرض وما يخرج منها. فهو المهيمن الجبار المتفرد بالخلق والأمر الذي أفاده اصطفاء التعبير بـ(الله). وهو المنعم المتفضل الكريم المنان. وهذا ما أفاده الوصف بـ(الرحمن الرحيم).

---

(١) ينظر: أضواء البيان ١/٤٨-٤٩.

(٢) أضواء البيان ١/٤٧-٤٨.

(٣) الدر المصون ١/٣٣.

المطلب الثالث:

كلمة (الحمد)، وما فيها من دلالات، والفرق بينها وبين المدح والشكر:

أولا: دلالة (أل) في (الحمد):

الألف واللام في الحمد لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله عزّ وجل، أو للعهد، أي: الحمد المعهود بين الناس لله عزّ وجل(١).

ثانيا: دلالة كلمة (الحمد) والفرق بينها وبين المدح :

الحمْد نقيض الذَّم(٢)، وهو الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال(٣). وهو هنا أدق وأوفى بالمراد من المدح والشكر.

فأما من ناحية المدح فالحمد لا يكون إلا للحي العاقل، بخلاف المدح فقد يكون للحي العاقل وقد يكون للحي غير العاقل، كما يكون للجمادات أحيانا، فقد تمدح إنسانا، وقد تمدح حيوانا، وقد تمدح جمادا، ويستحيل أن تحمدها(٤).

فدلّ "الحمد لله" أن الله حي، له الصفات العليا، والأفعال الجميلة يحمد عليها. ولو قال: "المدح لله" لم يفد شيئا من ذلك.

---

(١) ينظر: جامع البيان ١/١٣٨-١٣٩، والبحر المحيط ١/٣١، وفتح القدير ١/١٩، والتحرير والتنوير ١/١٥٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد" ٤/٤٣٤.

(٣) ينظر: الكشاف ١/٥١-٥٢، والبحر المحيط ١/٣١، وروح المعاني ١/٩١-٩٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٣١، والتفسير الكبير ١/١٧٨.

فالحمد أخصّ من المدح، وضده الذّم، بخلاف المدح إذ ضده الهجاء(١).

وكذلك فإن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح(٢).

كذلك فإن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، وأما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان(٣).

ومعنى ذلك: أن الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات وفي الفعل، فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، ولا يحمد من لم يفعل جميلا، بخلاف المدح فقد يكون بغير ذلك، فتمدح إنسانا ولم يفعل شيئا من المحاسن والجميل.

ثالثا: الفرق بين الحمد والشكر:

وأما من ناحية الشكر فإن الحمد قد يكون لصنيعة جميلة حصلت لك، وقد يكون ابتداء لما هو حاصل من المحمود لغيرك أو ثابت فيه من الصفات العليا، والشكر لا يكون إلا ثناءً لِيَدٍ أوليتَها(٤).

كما أن الشكر خاص بالنعمة، ولا يكون على الصفات الذاتية، بخلاف الحمد فإنه يعم الجميع(٥). فكان اختيار الحمد أولى أيضا من الشكر؛ لأنه

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد" ٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: روح المعاني ١/٩٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ١/١٧٨.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة مادة "حمد" ٤/٤٣٤، والتفسير الكبير ١/١٧٨-١٧٩.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة "حمد" ٤/١٣٣.

أعم؛ إذ تُــثني على الله عزّوجل لنعمه الواصلة إليك، وإلى الخلق أجمعــين، كما تثني عليه بصفاته العليا الذاتية، وإن لم يتعلق شيء منها بك[١].

ولا يكون الشكر أعم من الحمد إلا من جهة ما يقعان به: فإن الشــكر يقع باللسان وبغيره من الجوارح، والحمد لا يقع إلا باللسان.

كما يكون الحمد أعم من الشكر _كما سبق_ باعتبار ما يقعان عليــه: فإن الشكر لا يكون إلا على نعمة أصابت الشاكر من المشكور له، بخــلاف الحمد فإنه يكون على النعمة أصابت الحامد أو غيــره، أو علــى الصــفات الذاتية.

ولما كان المقصود هو الثاني مراعاة للسياق فضله هنا على الشــكر، كما أن الشكر فضله على الحمد فــي آيــات أخــرى كثيــرة؛ لأن الســياق اقتضاه[٢].

فثبت أن اختيار كلمة الحمد هنا كان أولى من كلمة المدح والشكر.

واللام الجارة في (لله) للاســتحقاق[٣]، أي: يســتحقه الله عزّوجــل، وليست للاختصاص؛ لأن المدح ليس خاصا بالله عزوجــل، ولــيس للمِلْــك وغيره من المعاني لعدم مطابقتها مقتضى الكلام.

---

(١) ينظر: لمسات بيانية ص ١٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٥١/١-٥٢، وفتح القدير ١٩/١.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ص ٢٠٥.

المطلب الرابع

دِلالات كلمتي (رب العالمين) البيانية، وما في كلمة (الرب) من الدقة والإيحاء:

قال ابن فارس: "الراء والباء يدل على أصول. فالأول لإصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب المصلح للشيء. يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا أقام على إصلاحها..."(١).

والربّ: المالك، والسيد، والمربي، والقيّم، والمنعم(٢).

وكلمة الرب إذا أطلقت انصرفت إلى الله عزوجل، وإذا أريد بها غيره أضيفت إليه غالبا، فقيل مثلا: رب البيت، ورب الدّابة(٣).

والعالمين جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى. ويجمع على العالمين للعقلاء أو لما غلب فيه العقلاء(٤).

ولا شك أن الله عزوجل رب العالمين، رب السموات والأرض وما بينهما. بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

فربّ العالمين: مالكهم وسيدهم، ومربيهم، والمنعم عليهم.

وكلمة الرب هنا دقيقة، لها من المعاني والإيحاءات ما لم توجد لو وضعت كلمة أخرى مكانها؛ فإنها تدل على أنه رب العالمين القائم على أمورهم، المدبر لشؤونهم، المصلح لأحوالهم، المنعم عليهم. وهو سيدهم،

---

(١) مقاييس اللغة مادة "رب" ٣٨١/٢.
(٢) ينظر: لسان العرب مادة "ربب" ٩٥/٥.
(٣) ينظر: لسان العرب مادة "ربب" ٩٥/٥.
(٤) ينظر: أنوار التنزيل ص ٨، وفتح القدير ٢١/١.

ومالكهم، وخالقهم، ورازقهم، يسمع لهم، ويعلم بهم إلى آخر ما هو من صفات الرب الذي يملك ناصية مربوبه.

وقد وقف بعض المفسرين عند هذا المعنى، فقالوا: ودخل تحت قوله: (ربّ العالمين) كثير من صفات الله تعالى كالعليم، والسميع، والبصير، والقيوم، والمريد، والملك، وما أشبه ذلك؛ لأن كل واحد من هذه الأسماء والصفات يطلب ما يقع عليه(١).

كذلك فإن في كلمة الرب دلالة على أن جميع العالمين مفتقر إليه افتقارا تاما، في حال حدوثها وبقائها، كما يفتقر المربوب إلى ربه(٢).

وفي التعبير بـ(الرب) بعد لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) طمأنة للعباد بأنه سبحانه مع جلاله وعظمته وعزته وهيبته؛ هو المنعم المربي، والمحسن المتفضل؛ ليشعرهم باللين والرحمة والشفقة والامتنان والإنعام.

وفي إضافته لـ(العالمين) ما يزيدهم طمأنينة بما فيه من دلالة على أن تربيته وإنعامه وتفضله شيء عام لا يخص المؤمنين فقط، بل يشمل جميع المخلوقين.

وفي الجمع بين (الله) و(رب العالمين) ترهيب وترغيب يدعو المرء إلى تعقل أمره، والعودة إلى نفسه، ومن ثم اختيار الطريق المستقيم، أو السقوط في طريق المغضوب عليهم، أو الضلال مع الضالين. وهذه ثنائية قام عليها القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره.

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٠٨/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ١٨٧/١.

كما أن في قوله: (رب العالمين) ردا على اليهود الذين يدعون أن الله رب بني إسرائيل خاصة، وليس رب الخلق الآخرين من البشر، فرد عليهم بأنه رب العالمين جميعا. فحسن اختيار (رب العالمين) من كل وجه[١].

المطلب الخامس: دلالات كلمة (مالك) و(الدين) البيانية في قوله تعالى: (مالك يوم الدين)، والدقة في إضافة الملك إلى اليوم، وما يحمل التعبير بـ (يوم الدين) من المعاني والإيحاءات:

الدّين مشتق من دان يدين، قال ابن فارس: "الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلُّها. وهو جنس من الانقياد والذّل"[٢].

وسمّي يوم القيامة بيوم الدين _ أي: يوم الجزاء والحساب_ لما فيه من مظاهر الانقياد والذّل[٣].

والله عزوجل مَلِك، ومالك لجميع الأشياء في جميع الأوقات، إلا أنه خصص ذلك هنا بيوم الدّين لمعنى لطيف؛ وذلك _والله تعالى أعلم_ لأنّ المُلْك والمِلْك الحاصلين في الدنيا لبعض الناس بحسب الظواهر يزولان، وينسلخ الخلق عنهما انسلاخا تاما ظاهرا واضحا في الآخرة، قال تعالى: (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)[٤]، وينفرد سبحانه وتعالى ذلك اليوم بالملكية والملوكية انفرادا لا خفاء فيه، قال جل في علاه: (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)[٥]، وقال: (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) [٦][٧].

---

(١) ينظر: لمسات بيانية ص ٣٤.
(٢) مقاييس اللغة مادة "دين" ٣١٩/٢.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة مادة "دين" ٣١٩/٢-٣٢٠.
(٤) مريم: ٩٥.
(٥) الانفطار: ١٩.
(٦) غافر: ١٦.
(٧) ينظر: روح المعاني ١١٥/١.

كما أن في إضافة الملك إلى اليوم _مع أن اليوم لا يُملَك، بل يُملَك ما فيه_ معنى لطيفا أيضا: وهو أن ذلك يفيد العموم، فمالك اليوم مالك لكل ما اشتمل عليه من أمور مادية ومعنوية، فملكية اليوم هي ملكية لكل ما يجري ويحدث في ذلك اليوم، ولكل ما في ذلك اليوم، ولكل من في ذلك اليوم، فهي إضافة دقيقة في مكانها لا تقوم مقامها إضافة[١].

كما أن التعبير بـ"يوم الدين" دون "يوم القيامة" فيه من المعاني والإيحاءات التي لا توجد في غيرها: فإن الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم، بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أن يوم القيامة لا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين[٢].

قال الجرجاني في قوله تعالى: (مالك يوم الدين): "فإن الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة إلى السرمد"[٣].

ثم إن الدّين له عدة معان: كالجزاء، والحساب، والطاعة، والقهر، يجمعها أصل الانقياد والذُّل كما سبق قريبا.

فذلك اليوم هو يوم الدين كله، فهو يوم الحساب، وهو يوم الجزاء، وهو يوم الطاعة والخضوع لله، وهو يوم يعزّ فيه أهل الطاعة، ويقهر ويذل فيه أهل المعصية، إلى غير ذلك من المعاني التي تؤديها كلمة الدين، ولا تؤديها كلمة القيامة[٤].

---

(١) ينظر: لمسات بيانية ص ٣٩.

(٢) ينظر: روح المعاني ١/١١٥.

(٣) حاشية الجرجاني على الكشاف١/١٤٥.

(٤) ينظر: لمسات بيانية ص ٣٨.

وقال الآلوسي: "وأيضا للدين معان شاع استعماله فيها كالطاعة والشريعة، فتذهب نفس السامع إلى كل مذهب سائغ، وقد قال بكل هذين المعنيين بعض، والمعنى حينئذ على تقدير مضاف، فعلى الأول يوم الجزاء الكائن للدين، وعلى الثاني يوم الجزاء الثابت في الدين.

وإذا أريد بالطاعة في الأول الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهرا وباطنا، وجعل إضافة "يوم" للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء؛ لم يحتج إلى تقدير"[١].

وهناك أمر آخر وهو أن قوله: (يوم الدين) أنسب لقوله: (رب العالمين)؛ وذلك لاشتمال العالمين يوم القيامة على المكلفين ولا بد، وأنسب لأصناف المكلفين التي ذكرتهم السورة من منعَم عليهم، ومغضوب عليهم وضالين؛ لأن من معنى "الدين" الجزاء والحساب والطاعة والقهر، وهذه كلها إنما تكون لهؤلاء، فهو أنسب من يوم القيامة الذي لا يفهم من معناه اللغوي ما يفهم من يوم الدين[٢].

ثم إذا تأملنا في هذه الأسماء والصفات المذكورة واقترانها بالحمد رأينا ما أحسن اقترانها به وما أجمله!.

فاستغرق الحمد الزمان كله من الأزل إلى الأبد، ولم يترك منه شيئا، فكان كقوله: (له الحمد في الأولى والآخرة)[٣]، وشمل ذلك قوله: (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)[٤]، وقوله: (وآخر دعواهم أن

---

(١) روح المعاني ١/١١٥.
(٢) ينظر: لمسات بيانية ص ٣٩.
(٣) القصص: ٧٠.
(٤) الزمر: ٧٥.

الحمد لله رب العالمين)[١]. فلم يترك شيئا من الحمد إلا ذكره، ولم يترك وقتا منذ الأزل إلى الأبد إلا استغرقه، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى أم الكتاب[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ربّ محمود، ورحمن محمود، وملِك محمود"[٣].

وهناك دلالات أخرى يرتبط بعضها ببعض، وهي أننا إذا تأملنا وجدنا أن هذه السورة افتتحت بالألوهية الدالة على قدرته وجلاله وجبروته، وأنه إله محبوب، ويقصده الخلائق في حاجاتهم، ولا يستحق العبادة غيره؛ ثم ذُكر بعده أنه رحمن بالناس رحيم بالمؤمنين، ومن اقتضاء رحمته أنه ربّى العالمين، واعتنى بهم من جميع الجهات مادة ومعنى، فتكفل برزقهم كما تكفل بهدايتهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية، فهو ربهم وخالقهم ورازقهم والمدبر لشؤونهم، وهذا هو شأن المعبود الحقيقي، المالك بناصية عباده، أن يرحمهم ويدبر شؤونهم الدنيوية والأخروية.

ولأهمية أمر الألوهية وعظم شأنها، وكونها مدار الخلق، واقتضائها صفة الرحمة كرّر ذكرهما؛ حيث بدأ بهما في البسملة، وهي الآية الأولى للسورة، ثم أعاد الألوهية في الآية الثانية، وأعقبها بصفتي الرحمة (الرحمن والرحيم) في الآية الثالثة.

---

(١) يونس: ١٠.

(٢) لمسات بيانية ص ٤٠-٤١.

(٣) الضوء المنير ٦٢/١.

ولما كانت صفة الربوبية تقتضي الألوهية؛ إذ إن الرب الذي يقوم بتدبير شؤون عباده من كل جهة هو الذي يستحق العبادة، كما أن من أبرز صفات الرب والمربي أن يكون رحيما بمن يربيهم، شفيقا عليهم؛ جعلها بين الألوهية؛ حيث ذكرها قبل ذكر الربوبية وبعدها، وجعل الربوبية وسطا بين الألوهية، ومقرونة بها من الجانبين.

وحينما كانت الألوهية أمرها جليل، وشأنها عظيم، وهي الغاية العظمى، والمقصد الأعلى، وهي سبب بعثة الأنبياء والرسل، وعلة خلق الجن والإنس؛ افتتحت الآية الأولى والثانية بها، فقُرنت في الأولى بصفات الرحمة التي هي من معاني الألوهية، وفي الثانية بصفة الربوبية التي هي من دلالاتها، فالإله الحقيقي يكون رحيما بعباده شفيقا عليهم، كما يكون مربيا لهم، ومدبرا لشؤونهم.

ثم بعد ما ذُكرت هذه الصفات والمعاني، وتكشفت للعبد هذه الدلالات والمقتضيات؛ نبّه الله على أنه مالك يوم الدين، فهو سيجزي من خضع لألوهيته، واستسلم لمتطلباتها، وعبده ولم يشرك به شيئا، وشكره ولم يكفر به وبنعمته؛ جزاء موفورا، كما يعاقب من لم يعبده، أو أشرك به، وكفر به وبنعمته أشد العقاب.

وليس لأحد من القدرة والإرادة أن يمنعه من هذا الجزاء والعقاب؛ لأن الأمر كله بيده: (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)[1]، وأنه مالِكٌ لهذا اليوم العظيم، ومِلكٌ جبارٌ قهّار له المِلك والمُلك دون سواه: (لمن

(١) الانفطار: ١٩.

الملك اليوم لله الواحد القهار) [١]. فهو مالك له ومَلِكه، وليس مالِكا بلا مُلك كما هو شأن كثير من الناس، بل أغلب الناس، ولا مَلِكا بلا مُلْك كما هو شأن بعض الملوك.

فانسجمت الآيات بعضها مع بعض بدلالاتها واقتضاءاتها غاية الانسجام، وارتبطت ببعضها ارتباطا وثيقا، وفي دقة متناهية، وعاد آخرها على أولها، وتمم مقطعها مطلعها، ورجع مقصدها على مفتتحها بما يجعل أمر الألوهية دائريا في البدء والختام، والمطلع والمقصد، والله تعالى أعلم!

المطلب السادس: دلالات (العبادة) و (الاستعانة) البيانية في قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، والحكمة من الاقتران بينهما:

العبادة في اللغة التذلل والخضوع، وهو مشتق من عبَد يعبُد.

قال ابن فارس: "العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنهما متضادان، والأول منهما يدل على لين وذُلّ، والآخر على شدّة وغِلْظ"[٢].

وفي الاصطلاح: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله عزّوجل ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٣].

وهي ملازمة للحب والتذلل والخضوع. فعبادة الله تستلزم الحب مع التذلل والخضوع.

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) مقاييس اللغة مادة "عبد" ٢٠٥/٤.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٩/١٠.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع. والعرب تقول: طريق معبَّد، أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع. فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا له"(١).

والاستعانة مشتق من العون، وهي من الاستفعال، ومن معاني الاستفعال المشهورة السؤال والطلب(٢)، فهي بمعنى: طلب العون والنصر، وهي ملازمة للثقة والاعتماد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به؛ لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به.

وقد قرنت العبادة بالاستعانة ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله عزوجل إلا بالاستعانة به عليها، فهم عاجزون عن أدائها الصحيح والقيام بها على الوجه المطلوب إلا بتوفيقه ونصرته.

كما جمع بينهما ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته(٣).

---

(١) بدائع التفسير ٤٣/١.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ١٧٩/١، والمغني في تصريف الأفعال ص ١٤٩.

(٣) ينظر: الكشاف ٥٧/١.

والتوكل معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة (إياك نعبد وإياك نستعين)، وهذان الأصلان _وهما التوكل والعبادة_ قد ذكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها"[١].

وعلى هذا فقد أفادت الآية أن من شأن المؤمن أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به، فجميع أنواع عبادته من الصلاة والزّكاة والصيام والحج والذبح والنذر وغير ذلك خاضعة لله، خالصة له ابتغاء لوجهه ومرضاته، وهذا تجريد توحيد الألوهية. كما من شأنه أيضا أن لا تكون الاستعانة بمختلف أصنافها في شؤونه المتنوعة من طلب الأمور المعنوية والمادية إلا به، وهذا تجريد توحيد الربوبية. فجمع بين الألوهية والربوبية أحسن جمع، وصرفهما لله عزوجل وحده.

ولو عبر بغير كلمة العبادة والاستعانة لما أدى هذا المفهوم الشامل كما هو واضح: فالعبادة شملت جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة يحبها الله ويرضاها، والاستعانة شملت جميع أنواع ما يحتاج إليه العبد في تحصيله من نصرة ومعاونة ومساعدة.

(١) بدائع التفسير ١/٤٣_٤٤.

المطلب السابع:

دلالات (الهداية) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم):

الهداية تأتي لعدة معان، منها: الإرشاد والتوجيه والتبيين والدّلالة والإلهام والتوفيق[١].

قال تعالى: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[٢]، فهنا الهداية بمعنى: الإرشاد والتوجيه والتبيين والدلالة.

وقال تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)[٣]، فهنا الهداية بمعنى: الإلهام والتوفيق[٤].

وفعل الهداية قد يعدّى بنفسه كقوله تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)[٥]، وقد يعدّى بـ"إلى" كقوله تعالى: (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[٦]، وقد يُعدّى باللام كقوله تعالى: (الحمد لله الذي هدانا لهذا)[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة "هدي" ٥٨-٦٠.
(٢) الشورى: ٥٢.
(٣) القصص: ٥٦.
(٤) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٤٤٥-٤٥٠.
(٥) الإنسان: ٣.
(٦) الشورى: ٥٢.
(٧) الأعراف: ٤٣.

والفرق بين المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف _كما قالوا_ أن المتعدي بنفسه يقال لمن يكون في الطريق ولمن لا يكون فيه، والمتعدي بالحرف يقال لمن لا يكون فيه، فيوصل بالهداية إليه(١).

وفعل الهداية عدِّي هنا بنفسه، ولم يعدّ بالحرف؛ وذلك ليشمل المعنيين: فكان طلب الهداية لمن كان في الطريق فيعرَّف به ويبصر بشأنه، ولمن ضل من المؤمنين عن الجادّة فيرد إلى الجادّة.

ثم من هؤلاء المؤمنين الموحدين الحامدين لله من هم على الجادة والطريق المستقيم فيكون المعنى لهم طلب استمرار الهداية على الطريق المستقيم؛ وذلك لأن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهدى ورسوخه فيها، وتبصره وازدياده منها، واستمراره عليها(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "إن العبد مفتقر إلى الهداية في كل نفَس، في جميع ما يأتيه ويذره، أصلا وتفصيلا وتثبيتا، ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام، فليس له أنفع ولا هو إلى شيء أحوج من سؤال الهداية، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يثبت قلوبنا على دينه"(٣).

فيكون معنى: (اهدنا الصراط المستقيم): عرفنا الطريق الحق، وردنا إليه ردا جميلا إذا ما ضللنا أو انحرفنا، وثبتنا على الهدى وزدنا هدى(٤).

---

(١) ينظر: حاشية الجرجاني على الكشاف ٥٣/١، وروح المعاني ١٢٣/١-١٢٤، والتحرير والتنوير ١٨٧/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤١/١، وتفسير القرآن العظيم ١٣٢/١، وروح المعاني ١٢٦/١.

(٣) بدائع الفوائد ٤٥٠/٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤١/١، وبدائع الفوائد ٤٤٥/٢-٤٤٨، وروح المعاني ١٢٦/١، ولمسات بيانية ص ٥٥.

وقال ابن القيم رحمه الله بعد ما ذكر ما يتعلق بتعدية فعل الهداية بالحرف وبغيره خاصة، وبتعدية الأفعال بالحرف وبغيره عامة، وما فيه من لطائف بيانية ودقائق لغوية: " فإذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدِّي بـ"إلى" تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتي بحرف الغاية، ومتى عدِّي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتي باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، فهم معنى: ذكرته له، وهيأته، ونحو هذا.

وإذا تعدّى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام.

فالقائل إذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم)، فهو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبينه له، ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرد الفعل من الحرف، وأتى به مجردا معدّى بنفسه؛ ليتضمن هذه المراتب كلها، ولو عدِّي بحرف تعين معناه، وتخصص بحسب معنى الحرف، فتأمله! فإنه من دقائق اللغة وأسرارها"[1].

(١) بدائع الفوائد ٢/٤٢٣-٤٢٥.

المطلب الثامن:

دلالات (الصراط) و (المستقيم) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم).

وأما كلمة "الصِّراط" فهو مشتق من "سرَطتُ الطّعام، إذا بلعته؛ لأنه إذا سُرِط غاب. واشتقاق الصّراط من ذلك لأن الذّاهب فيه يغيب غَيبة الطَّعام المُستَرَط[١].

قال ابن القيم رحمه الله: " المشهور أنه من "صرَطتُ الشيء أصرُطه" إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسُمِّي الطريق صراطا؛ لأنه يسترط المارّةَ فيه.

والصِّراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقا، مستقيما، سهلا، واسعا، موصلا إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطا، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك. قال جرير[٢]:

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوَجَّ الموارِدُ مستقيمِ

وبنوا الصِّراط على زِنة "فِعال"؛ لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللِّحاف، والخِمار، والرِّداء، والغِطاء، والفِراش، والكِتاب، إلى سائر الباب"[٣].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة "سرط" ١٥٢/٣، ولسان العرب مادة "سرط" ٢٤٠/٦.

(٢) ديوان جرير ص ٤١١ .

(٣) بدائع الفوائد ٤١٦/٢-٤١٧.

ولذا فقد اختيرت هنا كلمة (الصِّراط) دون كلمة (الطريق) أو كلمة (السبيل)؛ وذلك لأن (صِراط) على وزن (فِعال)، وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال، فيشتمل على كل السالكين، ولا يضيق بهم؛ لرحبه وسعته[١]. بخلاف كلمة (طريق)، فإنها (فعيل) بمعنى مفعول من (طرق) بمعنى مطروق، وكذلك (سبيل)، فهي أيضا كأنها (فعيل) بمعنى مفعول من أسبلت الطريق إذا كثرت سابلتها، والسابلة من الطرق المسلوكة، يقال: سبيل سابلة، أي: مسلوكة[٢]. هذا مع المعاني والدلالات الأخرى التي تشتمل عليها كلمة الصراط دون كلمتي "الطريق" و "السبيل".

وعلى هذا فلا تدلان _أعني: كلمتي الطريق والسبيل_ في صيغتهما على المعاني التي تدل عليها كلمة (الصِّراط)[٣].

وليس معناه أنه لا تُستخدم كلمة (السبيل) وكلمة (الطريق) للطريق الحق، بل ذلك كله تابع لاقتضاء الحال، فقد يكون استخدام كلمة في مكان أحسن بالموضع، وأوفى بالمراد، وأنسب بالسياق دون مكان، وكل ذلك خاضع للسياق واقتضاء الحال.

ومن الملاحظ أن "الصراط" جاء هنا مفردا معرّفا بتعريفين: بالألف واللام والإضافة؛ وذلك للدلالة على أنه صراط واحد فليس ثمة صراط آخر، وهو الصراط المعروف الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين.

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٤١٦-٤١٧، ومعاني الأبنية في العربية ص ٦٢.
(٢) ينظر: لسان العرب مادة "سبل" ٦/١٦٢، ومعاني الأبنية في العربية ص ٥٣-٥٤.
(٣) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٤١٦-٤١٧، ولمسات بيانية ص ٥٨.

قال ابن القيم رحمه الله: "وذكر الصراط المستقيم منفردا معرفا بتعريفين: تعريفا باللام، وتعريفا بالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد.

وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[١]. فوحد لفظ الصراط وسبيله، وجمع السبل المخالفة له...؛ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق. ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله"[٢].

وقال الرازي: "اعلم أن أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين. فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكأن العبد يقول: (اهدنا الصراط المستقيم) لوجوه:

الأول: أنه أقرب الخطوط وأقصرها، وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم.

الثاني: أن المستقيم واحد، وما عداه معوجة، وبعضها يشبه بعضا في الاعوجاج، فيشتبه الطريق علي، أما المستقيم فلا يشابهه غيره، فكان أبعد عن الخوف والآفات، وأقرب إلى الأمان.

الثالث : الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) بدائع التفسير ١/٣٥-٣٦.

والرابع : المستقيم لا يتغير، والمعوج يتغير.

فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم، والله أعلم"[١]!.

ثم ميز الله هذا الصراط وزاده بيانا وتوضيحا بقوله: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، فهو غير صراط الذين غضب الله عليهم _وهم اليهود_، ولا الذين ضلوا _وهم النصارى_.

فعرّفه بأل والإضافة.

ثم وصفه بالمستقيم. والمستقيم اسم فاعل من استقام، ومن معاني "استفعل" المطاوعة، وهو هنا مطاوع أقمته فاستقام، أو قوّمته فاستقام [٢].

والمستقيم هو المعتدل المستوي الذي لا عوج فيه[٣]، فإذا كان الصراط متضمنا لمعنى الاستقامة _كما سبق قريبا_ صار الوصف بها تأكيدا مزيدا لهذا المعنى، وتوضيحا أكثر له.

المطلب التاسع: دلالات (أنعمت) و (المغضوب) و (الضالين) البيانية في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

إذا تأملنا التعبير بكلمات "أنعمت" و "المغضوب" و"الضالين" وجدنا من الدِّلالات ما لا توجد في غيرها من مرادفاتها.

وتفصيل ذلك أن كلمة "أنعمت" فعل ماض، مشتقة من الإنعام، والإنعام مادتها "نعم"، والنون والعين والميم على كثرة فروعها راجعة إلى أصل واحد

---

(١) التفسير الكبير ٢٠٨/١.

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب ١٧٩/١، والتحرير والتنوير ١٩١/١، والمغني في تصريف الأفعال ص ١٥١.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة "قوم" ٣٥٦/١١، والتحرير والتنوير ١٩١/١.

يدل على ترفُّه وطيب عيش وصلاح، ومنه: النِّعمة، وهي ما ينعم الله تعالى به على عبده من مال وعيش وطيب وصلاح في الحياة، يقال: لله عليه نعمة. والنّعمة: المِنَّة(١).

ومن هنا فكانت كلمة الإنعام شاملة لمعاني النعمة ومفهومها المختلفة المناسبة لأحوال الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين بلفظها، وأكبر هذه النعمة نعمة الإسلام، وهداية الصراط المستقيم. فهي أنسب لهذا المقام وأليق به. ولو كانت مكانها كلمة الإكرام أو الإحسان أو الإفضال أو غيرها من مرادف الإنعام لما أدت ما أدتها كلمة الإنعام من المعاني، وما أوفت بالمراد. ثم كلمة الإنعام بادية منها النعمة لصلتها بها اشتقاقا، وهي كلمة عامة تشمل جميع النعم المناسبة لحال المنعم عليه، فجمعت الكلمة بين الدلالتين: اللفظية والمعنوية.

كذلك فإن الإنعام متضمِّن للشكر _بخلاف الإحسان وغيره_ الذي يجب وجوب الدَّين، وبالشكر تبقى النعمة وتدوم(٢).

وعلى هذا فكان الإنعام هنا أوفى بالمراد، وأليق بالسياق؛ إذ فيه ذكر لإنعام الله على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وطلب الصراط المستقيم الذي أنعم الله به على هؤلاء في جملة النعم المنعمة بها عليهم، فإذا حصل ذلك استوجب الشكر منهم؛ لأن الإنعام يستوجب الشكر. فجمعت السورة بين الحمد والشكر.

كذلك كلمة "المغضوب"، فإنها اسم مفعول، مشتقة من الغضب.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة "نعم" ٤٤٦/٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص ٢١٨.

قال ابن فارس: "الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدّة وقوة. يقال: إن الغَضْبَةَ: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتُقَّ الغَضَب؛ لأنه اشتداد السُّخط"(١).

فلما كان الأمر متعلقا باليهود كانت كلمة الغضب أنسب لهم؛ لما فيها من شدة وقوة؛ وذلك لأنهم عرفوا الحق ثم جحدوا به وأنكروه.

فإن قيل: لِمَ لم يعبِّرْ هنا بكلمة "السخط" دون الغضب، والمعنى متقارب؟

قيل: إنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، بخلاف السّخط فإنه يكون من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال سخط الحاجب على الأمير(٢).

ومن هنا فإن السياق أدعى للغضب؛ لأن المغضوب عليهم غضب الله عليهم، وغضب عباده الصالحون عليهم، ومن العباد من كان صغيرا غضب على الكبير، ومنهم من كان كبيرا غضب على الأصغر منه، فاشتملت على الجميع، بخلاف لو عبر بالسخط أو نحوه.

ثم إن كلمة "الغضب" تدل على الشّدة والقوّة _كما سبق_، وهي في نفسها شديدة لما اشتملت على الغين والضاد والباء، وكلها من الحروف المجهورة(٣). بخلاف كلمة "السخط" فهي أقل درجة من الغضب _ كما سبق_، وهي في نفسها أضعف من السخط لاشتمالها على السين والخاء،

---

(١) مقاييس اللغة مادة "غضب" ٤٢٨/٤.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص ١٤٨.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب ١١٩/١، و ٢١٣/١، و ٢٤٣/١.

وهما من الحروف المهموسة، وليس فيها من الحروف المجهورة إلا الطاء[١].

فكلمة الغضب هي المناسبة لفظاً ومعنىً للمقام، وهي المطابقة لمقتضى الحال.

فائدة:

قالوا: إن الغضب عند حكماء الأخلاق مبدأ الشجاعة، والشجاعة جزء من مجموع الأخلاق الثلاثة الأصلية، وهي: الحكمة، والعِفّة، والشجاعة التي يعبَّر عن جميعها بالعدالة.

والغضب الذي يوصف به الله عزوجل هو الغضب الذي تقتضيه الشجاعة، وتوجبه الحكمة[٢]. والله تعالى أعلم!.

والله عزوجل يتصف بصفة الغضب كما يليق بجلاله، فالصفة ثابتة، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

وكذلك كلمة "الضالين"، فإنها مشتقة من الضلال.

قال ابن فارس: "الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه. ... ومما يدل على أن الأصل ما ذكرناه قولُهم: أُضِلّ الميِّتُ، إذا دُفِن. وذاك كأنه شيء قد ضاع"[٣].

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١٨٣/١، و ١٩٧/١، و ٢١٧/١.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ص ١٤٩، والتحرير والتنوير ١٩٨/١.

(٣) مقاييس اللغة مادة "ضل" ٣٥٦/٣.

وإذا تأملنا في الآية وما تهدف إليه من المعاني وجدنا أن كلمة "الضالين" وقعت في موقعها، فهي بنفسها تشعر بذهاب هؤلاء بعيدين عن الصراط المستقيم، ومن ثم ضياعهم، ومن ثم هلاكهم.

فإن قيل: لِمَ لم يعبِّرْ هنا بكلمة "الغي" دون الضلال، والمعنى متقارب؟

قيل: إن أصل الغي الفساد، وأصل الضلال الهلاك[1]. فكأنّ _والله تعالى أعلم_ في التعبير بالضلال إشعارا بهلاك النصارى ومن شايعهم إذ ضلوا عن الصراط المستقيم، فكأنه قيل فيهم: الضالين الهالكين بسبب ضلالهم عن الحق. ولا شك في أنّ من ضل عن الصراط المستقيم فقد ضاع وهلك.

****

(١) ينظر: الفروق اللغوية ص ٢٤٠.

المبحث الثاني

دلالات التراكيب في سورة الفاتحة

المطلب الأول: دلالات تركيب (الحمد لله) في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين):

إذا تأملنا وجدنا أن قوله: (الحمد لله) هنا أدقّ وأوفى بالمراد من (إنّ الحمد لله) بتأكيد؛ وذلك لأن المقام ليس مقام الشك أو الإنكار المقتضي للتوكيد، بل هو ثابت ومستقر في النفوس على سبيل البديهيات، وإنما جيء به هنا لتوجيه المؤمنين الذين يقرون بذلك، ويعملون على مقتضاه.

ثم إن قوله: (الحمدُ لله) خبر يتضمن إنشاء[1]، فهو أولى من (إن الحمد لله)؛ لأنه خبر محض، فجمع في قوله: (الحمد لله) المعنيين: الخبر والإنشاء.

و (الحمد لله) كذلك أولى من (أحمدُ الله)؛ لكونها جملة اسمية تدل على الثبوت والدوام، بخلاف الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث؛ فإن المحامد كلها ثابتة له جلّ في علاه، كما أنها دائمة مستمرة.

ثم نجد أنه تعالى لم يقل هنا (لله الحمد)؛ لأنه يدل على الاختصاص، والحمد ليس خاصا بالله: فقد يحمد الرّجلُ الرّجلَ لصنيعه الجميل.

وهذا لا يعني أنه لا يقال: (ولله الحمد) مطلقا؛ لأن الحاكم هو السياق، فقد يكون (لله الحمد) أولى من (الحمد لله)؛ لاقتضاء المقام ذلك، فإذا اقتضى المقام قدِّم، وإذا اقتضى المقام أخِّر، وباب التقديم والتأخير في البلاغة باب دقيق لطيف كما هو مشهور، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما هو معروف.

---

(١) ينظر: روح المعاني ١٠٢/١، والتحرير والتنوير ١٦١/١-١٦٢.

المطلب الثاني: دلالات التراكيب في قوله تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

نلاحظ أن الله تعالى أضاف الصراط هنا إلى الذين أنعم عليهم، فعرفه بالإضافة بعد ما عرفه بأل_كما سبق آنفا_، ثم ميزه بضدِّه بقوله: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، _وبضدها تتميز الأشياء_، فصار معروفا متميزا عن غيره أحسن تمييز.

وإذا تأملنا في التعبير الدقيق في قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم) وفي قوله: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وجدنا أن التعبير في الأول بالفعل الماضي، وفي الثاني بالجملة الاسمية.

فأما التعبير بالفعل الماضي في (صراط الذين أنعمت عليهم) فذلك ليتعين زمانه، وليتبين أن المقصود صراط الذين ثبت إنعام الله عليهم وتحقق، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[١].

ولو قال: (صراط الذين تنعم عليهم) لأغفل كلّ من مضى من رسل الله والصالحين، بل لم يفد أنه أنعم على أحد قبله، بخلاف الماضي، فإنه أحاط بمن مضى من الرسل والصالحين، وأفاد بإنعامه على من مضى.

كما أن الإتيان بالفعل الماضي يدل على أنه كلما مر الزمن كثر عدد الذين أنعم الله عليهم؛ وذلك لالتحاق الحاضر بالماضي، فتتسع دائر المنعم

---

(١) النساء: ٦٩.

عليهم، بخلاف (صراط الذين تنعم عليهم) فإن الزمن فيه محدد، ولربما كان عدد المنعم عليهم قليلا.

وأما التعبير بالجملة الاسمية في (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فذلك ليشمل سائر الأزمنة، ويدل على الثبوت والدوام.

فإن قيل: ولِمَ لَمْ يقُل: (صراط المُنعَم عليهم)؛ ليشمل سائر الأزمنة، ويدل على الثبوت والدوام؟.

فالجواب: أن لكل مقام مقال، ولكل تعبير موضعه.

فلو قال: (المُنعَم عليهم) لم يتبين المنعِم الذي أنعم عليهم، والنعمة إنما تقدر بقدر المنعِم، فيختلف مستوى الإنعام باختلاف المنعِم: فإنعام الأمير غير إنعام أحد الرعية، وإنعام السلطان غير إنعام أحد أفراد المجتمع.

وكذلك من حيث التكريم، فإن الذي يكرمه الأمير وينعم عليه غير الذي يكرمه أحد أفراد الرعية[١].

كذلك نلاحظ أنه صرّح بالفاعل في قوله: (أنعمت)، ونسب الإنعام إليه مباشرة، ولم يصرح به في المغضوب عليهم ولا الضالين؛ وذلك لأن الله ينسب الخير إلى نفسه مباشرة، ولا ينسب الشر إلىنفسه مباشرة. قال تعالى: (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)[٢]، فلم ينسب الشر إلى نفسه مباشرة، بخلاف الخير فقد نسبه إلى نفسه مباشرة.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٤٩/١، وبدائع الفوائد ٤٢١/٢-٤٢٢، ولمسات بيانية ص ٦٤.
(٢) الجن: ١٠.

كذلك فإنّ في بناء "المغضوب" على المجهول فيه دلالة على عموم الغضب من الله عزوجل، ومن الغاضبين لله، بل وممن والاهم في الدنيا، فسينقطع حبل مودتهم في الآخرة؛ لأنها لم تبن في الله ولله.

فكان كل من التعبيرين في محله ومكانه(١).

كذلك نلاحظ أنه أتى في أهل الغضب باسم المفعول، وفي الضالين باسم الفاعل؛ وذلك لأن المغضوب عليهم من غضب الله عليهم، ومن غضب عليهم عباده الصالحون لله وفي الله، فهم مغضوب عليهم.

وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه؛ ولهذا استحقوا العقوبة عليه، ولا يليق أن يقال: ولا المُضَلّين مبنيا للمفعول؛ لما في رائحته من إقامة عذرهم، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فُعِل فيهم(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوبا إلى من قام به، والغضب محذوفا فاعله"(٣).

كذلك نلاحظ أنه قال: (غير المغضوب عليهم) بلفظ "غير" دون "لا"؛ وذلك لما "قيل: في ذكر "غير" بيان للفضيلة للذين أنعم عليهم، وتخصيص لنفي صفة الضلال والغضب عنهم، وأنهم الذين أنعم عليهم بالنبوة والهدى دون غيرهم، ولو قال: (لا المغضوب عليهم) لم يكن في ذلك إلا تأكيد نفي إضافة الصراط إلى المغضوب عليهم، كما تقول: "هذا غلام زيد لا عمرو"، أكدت نفي الإضافة عن عمرو، بخلاف قولك: "هذا غلام الفقيه غير الفاسق

---

(١) ينظر:البحر المحيط ١/ ٤٩، وبدائع الفوائد ٢/٤٢٠-٤٢٢، ولمسات بيانية ص ٦٣-٦٥.
(٢) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٤٤٢-٤٤٣.
(٣) بدائع الفوائد ٢/٧٢٥.

ولا الخبيث"، فكأنك جمعت بين إضافة الغلام إلى الفقيه دون غيره، وبين نفي الصّفة المذمومة عن الفقيه، فافهمه"[١]!.

كذلك نلاحظ أنه قال: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بذكر "لا" بينهما، ولم يقل: (غير المغضوب عليهم والضالين) بدون لا؛ وذلك لتأكيد النفي الذي تضمنته كلمة "غير"، ولئلا يتوهم أن المنفي هو المجموع، فيُجوِّز ثبوتَ أحدهما[٢].

المطلب الثالث: ارتباط قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بأول السورة، ووسطها، وآخرها، وما في ذلك من دلالات لطيفة.

إذا تأملنا في ارتباط قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) بأول السورة، ووسطها، وآخرها وجدنا أنه:

ارتبط بقوله: (رب العالمين)؛ لأن من معاني الرب المربي، ومن مهام المربي الهداية.

وارتبط بقوله: (الرحمن الرحيم)؛ لأن من هداه الله فقد رحمه.

وارتبط بقوله: (إياك نعبد)؛ لأن العبادة ينبغي أن تكون على الطريقة الصحيحة التي يرتضيها الله عزوجل.

وارتبط بقوله: (وإياك نستعين)؛ لأن من الاستعانة طلب الهداية، والثبات عليها.

وارتبط بقوله: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) لأنهم تائهون عن الطريق، السالكون غير جادّة الحق[٣].

---

(١) بدائع الفوائد ١/٣٥١-٣٥٢.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد ٢/٤٤٣-٤٤٤، وحاشية الجرجاني على الكشاف ١/٥٧، والتحرير والتنوير ١/١٩٨.

(٣) ينظر: لمسات بيانية ص ٥٧-٥٨.

ثم اعلم "أن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان، وهما الضلال، والغضب.

فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد. وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم يتضمن الشفاء من مرض الضلال...

... والتحقيق بـ(إياك نعبد وإياك نستعين) علما ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد...

... ثم إنّ القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الريا، والكبر. فدواء الرياء بـ(إياك نعبد)، ودواء الكبر بـ(إياك نستعين)...، فإذا عوفي من مرض الرياء بـ(إياك نعبد)، ومن مرض الكبر والعجب بـ(إياك نستعين)، ومن مرض الجهل بـ(اهدنا الصراط المستقيم)؛ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعَم عليهم غير المغضوب عليهم، وهم: أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين، وهم: أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه"[(١)].

(١) بدائع التفسير ٤١/١. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الممتع المسمى بـ"بدائع الفوائد" أكثر من عشرين وجها لغويا تكشف عن دقائق قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، وهي في غاية الجودة ونهاية الإفادة، جديرة بالقراءة والدرس. (ينظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد ٣٥١/١-٣٥٢، و ٤٠٦/٢-٤٥٣، و ٧٢٥/٢).

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسـوله الأمين محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسـان إلـى يـوم الدين، وبعد:

فهذه دراسة بيانية تحليلية تدور حول سورة الفاتحـة فـي ألفاظهـا وتراكيبها، وتحاول الكشف عن بعض وجوهها البلاغية، وقد توصلت _ولله الحمد_ من خلال الدِّراسة والبحث في الموضوع إلى نتائج، منها:

١- الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة لها دلالات واسـعة عميقـة تلفت نظر المتأمل، وتدهش الدارس.

٢- تشدّ سورة الفاتحة الانتباه إلى الجوانب البلاغة والوجوه البيانيـة والمعاني البديعة التي اشتملت عليها السورة لكثرتها مع قصرها.

٣- الدقائق اللغوية، والتراكيب اللطيفة، والنُّظم البديعة التي اشـتملت عليها سورة الفاتحة كثيرة، جديرة بالنظر والبحث والدراسة التفصيلية.

أشكر الله مرة أخرى على ما وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز، داعيا أن ينفعنا به، ويوفقنا دائما لمـا فيـه خيـري الـدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ت: الدكتور رجب عثمان محمد، ط/١، ١٤١٨هـ_١٩٩٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
٢. الاشتقاق، ابن دريد، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، العلامة محمد الأمين الشنقيطي، ط/١، ١٤٢٦هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، القاضي البيضاوي، ط/٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥. البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/١، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٦. بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه: يسري السيد محمد، ط/١، ١٤٢٧هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
٧. بدائع الفوائد، الإمام ابن القيم، ت: علي بن محمد العمران، ط/٢، ١٤٢٧هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.
٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٩. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ت: محمد كامل بركات، ط/١٣٨٧هـ_١٩٦٧م، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
١٠. تفسير أسماء الله الحسنى، الزّجاج، ت: أحمد يوسف دقاق، ط: دار الثقافة العربية، دمشق، سوريا.

١١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ت: عبد الرّزاق المهدي، ط/٢، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٢. التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط/٢، ١٤٢٥هـ_٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، ت: عبد السلام محمد هارون وزملائه، ط/ في عدة سنوات، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ابن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، ط/٢، دار المعارف، مصر.
١٥. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو بكر القرطبي، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، ط/١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م، مؤسسة الريالة، بيروت، لبنان.
١٦. حاشية الجرجاني على الكشاف للزّمخشري، (بهامش كتاب الكشاف)، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٧. حاشية الهوريني على القاموس المحيط، (المطبوع مع القاموس المحيط)، ط/٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، ط/في عدة سنوات، ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م، دار القلم، دمشق، سوريا.
١٩. ديوان جرير، ط: دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٠. روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السّلامي، ط/١، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢١. سر صناعة الإعراب، ابن جني، ت: الدكتور حسن هنداوي، ط/٢، ١٤١٣هـ_١٩٩٣م، دار القلم، دمشق، سوريا.
٢٢. سفر السعادة، علم الدين السّخاوي، ت: الدكتور محمد أحمد الدّالي، ط/٢،

١٤١٥هـ-١٩٩٥م دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٣. الضوء المنير على التفسير، (مباحث تفسيرية من كتب الإمام ابن القيم)، جمعه: علي الحمد الصالحي، ط/ مؤسسة النور للطباعة والنشر، دخنة، القصيم، السعودية، بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، السعودية.

٢٤. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/١، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٥. الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري، ت: باسل عيون السود، ط/١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تعليق وحاشية: أبو الوفاء نصر الهوريني، ط/٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٧. كتاب سيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/١، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٢٨. الكشاف، الزّمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/٢، ١٤٢١هـ_٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٩. لسان العرب، ابن منظور، ط/٣، ١٤١٩هـ_١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٠. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط/٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٣١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، ت: علي النجدي الناصف وزملائه، ط/٢، ١٤٠٦هـ_١٩٨٦م، دار سزكين للطباعة والنشر، إستانبول، تركيا.

٣٢. المخصص، ابن سيده الأندلسي، ط/١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٣. معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط/٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
٣٤. المغني في تصريف الأفعال، الدكتور محمد عبد الخالق عظيمة، ط/٢، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م، دار الحديث، القاهرة، مصر.
٣٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: الدكتور سعيد الأفغاني، ط/١، ١٤٢٥_١٤٢٦هـ_٢٠٠٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٣٦. مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/١، ١٤١١هـ_١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، لبنان.
٣٧. نتائج الفكر، أبو القاسم السُّهيلي، ت: محمد إبراهيم البنا، ط/١٩٨٤م، مكة المكرمة، السعودية.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٤٧
٢-	Abstract	٥٤٩
٣-	المُقَدِّمَةُ	٥٥١
٤-	المبحث الأول: دلالات الألفاظ في سورة الفاتحة.	٥٥٧
٥-	المطلب الأول: لفظ الجلالة (اللّه)، ودلالاتها البيانية.	٥٥٧
٦-	المطلب الثاني: صفتا (الرحمن والرحيم)، ودلالاتهما البيانية، والفائدة في اقترانهما.	٥٦١
٧-	المطلب الثالث: كلمة (الحمد)، وما فيها من دلالات، والفرق بينها وبين المدح والشكر.	٥٦٤
٨-	المطلب الرابع: دِلالات كلمتي (رب العالمين) البيانية، وما في كلمة (الرب) من الدقة والإيحاء.	٥٦٧
٩-	المطلب الخامس: دلالات كلمة (مالك) و(الدين) البيانية في قوله تعالى: (مالك يوم الدين)، والدقة في إضافة الملك إلى اليوم، وما يحمل التعبير بـ (يوم الدين) من المعاني والإيحاءات.	٥٦٩
١٠-	المطلب السادس: دلالات (العبادة) و (الاستعانة) البيانية في قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، والحكمة من الاقتران بينهما.	٥٧٤
١١-	المطلب السابع: دلالات (الهداية) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم).	٥٧٧
١٢-	المطلب الثامن: دلالات (الصراط) و (المستقيم) البيانية في قوله تعالى: (اهدنا الصِّراط المستقيم).	٥٨٠

م	الموضوع	الصفحة
١٣-	المطلب التاسع: دلالات (أنعمت) و (المغضوب) و (الضالين) البيانية في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).	٥٨٣
١٤-	المبحث الثاني: دلالات التراكيب في سورة الفاتحة.	٥٨٨
١٥-	المطلب الأول: دلالات تركيب (الحمد لله) في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين).	٥٨٨
١٦-	المطلب الثاني: دلالات التراكيب في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).	٥٨٩
١٧-	المطلب الثالث: ارتباط قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) بأول السورة، ووسطها، وآخرها، وما في ذلك من دلالات لطيفة.	٥٩٢
١٨-	الخاتمة.	٥٩٤
١٩-	قائمة المصادر والمراجع.	٥٩٥
٢٠-	فهرس الموضوعات	٥٩٩